مظاهر الرحمة في احتساب النبي ﷺ على المخالفين

دكتورة/ بدرية بنت سعود البشر
الأستاذ المشارك في قسم الحسبة والرقابة
المعهد العالي للدعوة والاحتساب
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
المملكة العربية السعودية

الحمد لله واسع الرحمة عظيم اللطف ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين الموصوف من ربه بالخلق العظيم ، أعظم الناس قدرا وأعلاهم منزلا ، أرحمهم بالصغير والكبير، وأحناهم على القوي والضعيف.

فقد شمل النبي ﷺ باحتسابه كافَّة الناس على اختلافهم، واحتسب على الرِّجال والنِّساء، والكبار والصِّغار، وأشراف الناس وعامتهم ، وهو في كل هذا ينتقى أفضل الأساليب ويتلمس سبل الوصول إلى القناعة والتسليم دون إيذاء أو تجريح ؛ فهو رحمةُ الله – تعالى – المهداةُ للعالمين، وهو نعمته المسداة للناس أجمعين: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[1].

ولم يدع ﷺ مجالاً للاحتساب إلا وقد طرقه توجيها لأمته وتعليما لهم ، فاحتسب على الناس في عقائدهم وعباداتهم يصححها، ويهديهم إلى أصوبها، واحتسب عليهم في أخلاقهم وسلوكياتهم يُقوِّمها ويهذبها، واحتسب عليهم في اقتصادهم وسياساتِهم ومعاملاتهم؛ ليرفعَ ظلم الظالمين، وينصف المظلومين، وكان في ذلك كله قدوة للمحتسبين السائرين على نهجه ، المهتدين بهداه .

ولأهمية هذا الأمر وتفصيلاته وأمثلته من واقع حياته ﷺ للمحتسبين كان اختيار هذا الموضوع ودراسته من خلال المحاور التالية:

التمهيد: في رحمة النبي ﷺ بأمته .

المبحث الأول : مظاهر الرحمة في احتسابه ﷺ على أصحابه، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول : مظاهر الرحمة في احتسابه ﷺ على الرجال.

---

[1]) سورة الأنبياء (١٠٧).

المطلب الثاني : مظاهر الرحمة في احتسابه ﷺ على النساء.
المطلب الثالث : مظاهر الرحمة في احتسابه ﷺ على الأطفال.
المطلب الرابع : مظاهر الرحمة في احتسابه ﷺ على الخدم.
المبحث الثاني: مظاهر الرحمة في احتسابه ﷺ على المنافقين.
المبحث الثالث: مظاهر الرحمة في احتسابه ﷺ على الأعراب.

مشكلة البحث:

التعرف على مظاهر الرحمة من احتساب النبي ﷺ على أفراد أمته على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم.

منهج البحث:

سيقوم البحث في هذا الموضوع على منهج الاستقراء والاستنباط ، حيث ستقوم الباحثة بمشيئة الله بتتبع احتساب المصطفى ﷺ على كافة شرائح المجتمع واستنباط مظاهر الرحمة منها.

التمهيد: في رحمة النبي ﷺ بأمته :

امتن الله ﷻ على نبيه ﷺ بكمال الصفات وجميل السجايا حتى لايجد عدو فضلا عن محب مايعيبه فيه وكان من هذا الكمال اتصافه بالرحمة والعطف على كل شيء سواء بشر أو حيوان أو حتى الجماد، مما جعل محبته تسكن القلوب السليمة وتأسر أخلاقه من يراه ومن يسمع عنه .

ذلك أن رحمة النبي –صلى الله عليه وسلم– جعلته ليناً رحيماً، ليس فاحشاً ولا متفحّشاً، ولا يعامل بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، فكان هذا سبباً في التفاف الناس حوله ومحبتهم له وقبولهم قوله . وفي ذلك قال الله ﷻ: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ** ﴾[1] فبين جل وعلا أن لينه ورفقه ورحمته كانت سبباً في قبوله ولو كان خلاف ذلك لانفضوا عنه وتركوه.

قالت عنه عائشة –رضي الله تعالى عنها– : (ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله).[2]

ومن رحمته بأمته أن الله ﷻ وهبه دعوة مستجابة ، فآثر بها أمته وادخرها لهم يوم القيامة شفاعة حيث الحاجة تكون أعظم في ذلك المقام، فقال ﷺ : ((**لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، وإني أختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا**)).[3]

ومن رحمته ﷺ بأمته أنه كان يتلمس اليسر لهم ولايشق عليهم بأمر من أمور دينهم ويتفقد أحوالهم ويسأل عنهم ويسألهم عنها ويساعد المحتاج ويقضي دين المعسر ويواسي المصاب وينصف المظلوم ويعطي من به فاقة ، وقد وصفه الله تعالى بقوله :

---

[1]) آل عمران ١٥٩.

[2]) صحيح الإمام مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري / كتاب الفضائل – باب مباعدة النبي ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته ١٨١٤/٤ رقم الحديث (٢٣٢٨) – المحقق محمد فؤاد عبدالباقي – دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه .

[3]) صحيح الإمام مسلم / كتاب الإيمان – باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته ١٨٩/١ رقم الحديث (١٩٩).

﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [1]

وكان ﷺ شديد الخوف على أمته ولهذا كان يكثر من تحذيرهم من الانحراف عن الدين والانجراف نحو مغريات الدنيا والبعد عن الله ، ولهذا وردت كثير من الروايات عنه ﷺ في التحذير والتنبيه مما يدل على رحمته بأمته وخوفه عليهم.

ومن أمثلة ذلك تحذيرهم من أهل الضلال الذين يلبسون على الناس دينهم ويفسدون عقيدتهم ، عن أبي الدرداء ﷺ قال: عهد إلينا رسول الله ﷺ : ((**أَنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الأَئِمَّةُ الْمُضِلُّونَ**)).[2] وهذا التحذير منه لعلمه بظهور هذه الفئة ، واغترار بعض الأمة بهم وانقيادهم لهم.

قال ابن تيمية – رحمه الله – : الرسول صلى الله عليه وسلم بعثه الله تعالى هدى ورحمة للعالمين .. فإنه كما أرسله بالعلم والهدى والبراهين العقلية والسمعية فإنه أرسله بالإحسان إلى الناس والرحمة لهم بلا عوض وبالصبر على أذاهم واحتماله .. فبعثه بالعلم والكرم والحلم ، عليم ، هاد ، كريم ، محسن ، حليم ، صفوح ".[3]

---

[1]) سورة التوبة (١٢٨).

[2]) مسند الإمام أحمد / مسند القبائل من حديث أبي الدرداء عويمر ﷺ (٢٦٩٣٩) – دار إحياء التراث العربي – سنة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٠٩/٤ – الطبعة الأولى –١٤١٥ه/١٩٩٥ – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. .– الرياض.

[3]) مجموع فتاوى ابن تيمية / تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ٣١٤/١٦-٣١٥ – ١٤١٦هـ /١٩٩٥ م – مجمع الملك فهد.

المبحث الأول : مظاهر الرحمة في احتسابه ﷺ على أصحابه، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول : مظاهر الرحمة في احتسابه ﷺ على الرجال:

احتسب النبي ﷺ على صنف الرجال جميعهم فلم يستثن القريب ولا ذا المكانة ولا الصديق ؛ بل قال للمحسن أحسنت وللمسيء أسأت ، وكلهم يعلم أنه يطبق شريعة ويقرر أسس تكفل سلامة المجتمع بأكمله ، ومع أنه يشدد في بعض الحالات لعظم المنكر أو صدوره ممن لا يتوقع منه إلا أنهم يلمسون محبته وحرصه وخوفه عليهم مكللاً بالرحمة بهم والحنو.

وقد حفلت سيرته ﷺ بمواقف عدة من احتسابه على أصحابه محاطة بالرحمة المحمدية ، ومنها:

عن عبدالله بن عمرو ﷺ أنكحني أبي امرأة ذات حسب ، فكان يتعاهد كنته فيسألها عن بعلها ، فتقول : نعمَ الرجل من رجل ، لم يطأ لنا فراشاً ، ولم يَفتشْ لنا كنفاً مُذ أتيناه ، فلما طال ذلك عليه ، ذكر للنبي ﷺ ، فقال : ((**القني به**)) . فلقيته بعد ، فقال : ((**كيف تصوم**)). قلت : كل يوم ، قال : ((**وكيف تختم**)) . قلت : كل ليلة ، قال : ((**صُمْ في كلِّ شهر ثلاثة ، واقرَأ القرآن في كل شهر**)) . قال : قلتُ : أُطيقُ أكثر من ذلك ، قال : ((**صُم ثلاثة أيام في الجمعة**)) . قلت : أطيق أكثر من ذلك ، قال : ((**أفطر يومين وصم يومًا**)) . قال : قلت : أطيق أكثر من ذلك ، قال : ((**صم أفضل الصوم ، صوم داود ، صيام يوم وإفطار يوم ، واقرأ في كل سبع ليال مرةً**)) . فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ، وذاك أني كبرت وضعفت ، فكان يقرأ على بعض أهله السُّبع من القرآن بالنهار ، والذي يقرؤه يعرضه من النهار ، ليكون أخفَّ عليه بالليل ، وإذا أراد أن يتقوَّى أفطر أيامًا ، وأحصى وصام أيامًا مثلهن ، كراهية أن يترك شيئًا فارق النبي ﷺ عليه. [1]

فقد احتسب على هذا الرجل الذي بالغ في العبادة حيث كان يصوم نهاره ويقوم ليله حتى أهمل بيته وأهله ولم يعطهم حقوقهم.

---

[1]) صحيح الإمام البخاري : محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي – كتاب فضائل القرآن – باب في كم يقرأ القرآن وقول الله تعالى :(فاقرءوا ما تيسر منه) ١٣٨/٦ رقم الحديث (٥٠٥٢) – حقق أصولها وأجازها الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز – دار الفكر – ١٤١٤هـ /١٩٩٤م.

احتسب عليه احتساب المشفق الرحوم حيث وجهه لأدنى الأمور رحمة به وبأهله فلما رأى رغبته في الزيادة تدرج معه حتى وصل لما يطيقه ولايخل بواجباته .

وتظهر رحمته بهذا الرجل ومعرفته بطبيعة القدرة البشرية وإمكاناتها من قول الرجل (فليتني قَبلتُ رُخصة رسول الله ﷺ، وذاك أني كَبرتُ وضَعُفتُ).

وعن عبدالله بن مسعود ﷺ : أن رجلًا أصاب من امرأة قُبلَةً ، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له ، فأُنزلت عليه : ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**﴾[1] . قال الرجل : ألي هذه ؟ قال : ((**لمَن عمل بها من أُمَّتي**))[2].

فقد أكد النبي ﷺ أن مافعله هذا الرجل يعد خطيئة ومنكر لكنه رأى منه ماوقر في قلبه من الشعور بالذنب فوجهه إلى مايغفر الله به هذه الذنوب . فهذه الآية توجه بكثرة الصلاة لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ [3] ، ومن لازمها ابتعد عن مايغضب الله جل وعلا.

وقد كان رسول الله ﷺ شفوقًا رحيمًا ، يتلمس مواطن الضعف والحاجة فيسدها ويقيمها بما يصلح لها ، ويستشعر نزعات النفس البشرية فيوجهها ويطهرها ، فهذا أحد الشباب غلبته شهوته، وتنازعت في نفسه الشهوة المحرمة مع الإيمان فيأتي رسول الله يستأذنه ليجد له من ذلك مخرجًا شرعيًّا له تطمئن به نفسه ،. فيتعامل معه الرسول بما يتناسب مع حاله وسنه ، فيحاوره بما يلامس ذات القلب الذي يرغب الحرام محاورة عقلية عاطفية توقظه وتعلي منسوب الإيمان فيه ، حاوره بأمر واقعي يعيشه ويستطيع تأمله من غير زجر،ولا سخرية منه ليصل به إلى الحق الذي يقبله قلبه وعقله على حد سواء ، ثم يختم ذلك الحوار بالدعاء له ليؤكد له محبته وحرصه عليه :

عن أبي أمامة ﷺ قال: إنّ فتى شابًّا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لِي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مَهْ مَهْ. فقال: "ادنه". فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: "أتحبه لأمك؟" قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه

---

[1]) سورة هود ١١٤.

[2]) صحيح الإمام البخاري/ كتاب تفسير القرآن – باب قوله ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾ ٥/٢٥٦ رقم الحديث (٤٦٨٧).

[3]) سورة العنكبوت (٤٥).

لأمهاتهم". قال: "أفتحبه لابنتك؟" قال: لا. والله يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لبناتهم". قال: "أفتحبه لأختك؟" قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لأخواتهم". قال: "أفتحبه لعمتك؟" قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لعماتهم". قال: "أفتحبه لخالتك؟" قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يُحبونه لخالاتهم". قال: فوضع يده عليه، وقال: "اللهم اغفر ذنبه وطَهِّر قلبه، وحَصِّن فرجه". قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.[1]

وهذا التعامل العظيم من رسول الله ﷺ والاحتواء للموقف مما يؤكد على المحتسبين أن يهتموا باحتواء الناس في مواقف المجاهرة وعدم الانفعال بل يحلموا ويترفقوا بهم حتى يصلوا بهم إلى الحق والتسليم له، ولاسيما أمام من يُرجى دخولهم في الإسلام، أو ليزيد إيمانهم ويثبتوا على إسلامهم.

المطلب الثاني : مظاهر الرحمة في احتسابه ﷺ على النساء:

لايخفى حرص النبي ﷺ على النساء ورحمته بهن ووصيته بهن في مواقف عدة ، فقد كان حريصا على إزالة شوائب الجاهلية التي كانت تؤذي المرأة وتتجاهل كيانها وتظلمها بصور مختلفة ، ولذا كان دائما يأمر أمته بالرفق بالنساء والاهتمام بهن وعدم الإساءة لهن ،وكان يقول لأصحابه ﷺ : ((**استوصوا بالنساء خيرًا**))[2]

قال ابن حجر – رحمه الله –: وفي الحديث الندب إلى المداراة لاستمالة النفوس وتألّف القلوب ، وفيه سياسة النساء بأخذ العفو منهن.[3]

وقال النووي – رحمه الله – : فيه الحث على الرفق بالنساء واحتمالهن.[4]

---

[1]) مسند الإمام أحمد / أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد ٥/٢٥٦-٢٥٧ – باقي مسند الأنصار رقم الحديث (٢١٧٠٨). قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ص ٥٤٣ – مكتبة القدسي – ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

[2]) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء – باب خلق آدم وذريته ٤/١٢٤ رقم الحديث (٣٣٣١) .

[3]) فتح الباري شرح صحيح البخاري /أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ١١/١٦٣ – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب – دار الريان للتراث – ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

[4]) شرح النووي على صحيح مسلم / يحي بن شرف أبو زكريا النووي ١٠/ ٤٦ – ١٤١٦ه/١٩٩٦م – دار الخير .

وكرر ﷺ وصيته بهن في حجة الوداع في الجمع العظيم من أمته تأكيداً لها، لما لهذه الوصية من الأهمية عنده حيث أفرد لها جزءً خاصًا من خطبته في هذا اليوم العظيم رحمة بهن وحرصاً عليهن أن يظلمن أو تضيع حقوقهن.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال :كان رسول الله ﷺ في سفر، وكان معه غلام له أسود يُقال له أنجشة، يحدو، فقال له رسول الله ﷺ:((**ويحك يا أنجشة، رويدك بالقوارير**)).[1]

ولا غرو أن نجد مظاهر هذه الرحمة تتجلى في احتسابه ﷺ على من خالفت منهن ، ومن ذلك : ماروته عائشة رضي الله عنها قالت : دخل عليَّ رسولُ الله ﷺ وعندي امرأة . فقال: ((**مَن هذه ؟**)) فقلت : امرأة . لا تنام . تُصلي . قال : ((**عليكم من العمل ما تطيقونه . فوالله ! لا يملُّ الله حتى تملُّوا**)) وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه .[2]

فقد علم ﷺ من حال المرأة كثرة العبادة وطول الصلاة فخشي أن يكون في ذلك تجاوزاً ، وتكلف نفسها أكثر من طاقتها فوجهها بحديث لسائر أمته أن تتعبد الله بما تطيقه وتقدر عليه ولا تحمل نفسها مالا طاقة لها به ، وفي احتسابه عليها تجلت صفات الرحمة والرفق حيث وجهها بأسلوب المشفق الحاني.

وفي مبايعته للنساء كان من بعضهن مناقشة لما ورد فيها واستفسار ؛كما في الحديث الذي روته أسماء بنت يزيد الأنصارية حيث قالت:

قالت امرأة من النسوة ما هذا المعروف الذي لا ينبغي لنا أن نعصيك فيه؟ قال: ((**لا تَنُحْنَ**)). قلت: يا رسول الله، إن بني فلان قد أسعدوني[3] على عمي ولا بد لي من قضائهن، فأبى عليَّ فعاتبته مرارًا، فأَذنَ لي في قضائهن فلم أَنُحْ بعد قضائهن ولا على غيره حتى الساعة، ولم يبق من النسوة امرأة إلا وقد ناحت غيرِي[4].

---

[1] صحيح البخاري : كتاب الأدب – باب ماجاء في قول الرجل ويلك ١٤٣/٧ رقم الحديث (٦١٦١).

[2]) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك ٥٤٢/١ رقم الحديث (٧٨٥) .

[3]) إسعاد النساء في المناحات ، تقوم المرأة فتقوم معها أخرى من جاراتها فتساعدها على النياحة/ النهاية في غريب الحديث والأثر – ابن الأثير مجد الدين أبي السعادات محمد بن مبارك الجزري ٣٦٦/٢ – تحقيق محمود محمد الطناحي و طاهر أحمد الزاوي – ط١ – ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م – المكتبة الإسلامية.

[4]) سنن الترمذي /محمد بن عيسى بن سورة الترمذي : كتاب تفسير القرآن – باب ومن سورة الممتحنة ٣٨٤/٥ رقم الحديث (٣٣٠٧) – تحقيق وشرح محمد بن أحمد شاكر – دار الكتب العلمية – بيروت. وذكره الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣٤٩/٣ رقم (٣٣٠٧) – ط١ – ١٤٢٠ه/٢٠٠٠م – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض.

فهذه المرأة طلبت منه أن يأذن لها في أداء ماتراه واجباً عليها وديناً تحملته لقوم وقفوا معها حين احتاجت . ولما رفض النبي ﷺ ذلك كونه أمر لازم من أمور الدين نهى عنه ؛ ألحت عليه ، فرحمها وأذن لها على ألا تتجاوز ولايتكرر . فكان لهذا التفاعل من رسول الله ﷺ معها الأثر الكبير في نفسها فلم تعد لذلك بعد الموقف المأذون لها فيه بالرغم من فعل البعض منهن وعدم التزامهن كما قالت: (فلم أَنُحْ بعد قضائهن ولا على غيره حتى الساعة، ولم يبق من النسوة امرأة إلا وقد ناحت غيري)

عن فاطمة بنت قيس، أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتَّة، وهو غائب، فأرسل إليها وكيله بشعير، فسخطته، فقال: واللَّه ما لك علينا من شيء، فجاءت رسول اللَّه ﷺ ، فذكرت ذلك له، فقال: ((**ليس لك عليه نفقة**)) ، فأمرها أن تعتدَّ في بيت أم شريك، ثم قال: ((**تلك امرأة يغشاها أصحابي، اعتدِّي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك، فإذا حللت فآذنيني**)) ، قالت: فلما حللت ذكرت له أنَّ معاوية بن أبي سفيان، وأبا جهم خطباني، فقال رسول اللَّه ﷺ : ((**أمَّا أبو جهم، فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد**)) فكرهته، ثم قال : ((**انكحي أسامة**)) ، فنكحته، فجعل اللَّه فيه خيرًا، واغتبطت[1].[2]

فنبي الرحمة صلوات الله وسلامه عليه احتوى هذه المرأة في قضيتها ووجهها توجيه الأب الرحيم ، حتى إذا انقضت عدتها وشاورته فيمن تقدم لخطبتها أشار عليها بما فيه صلاح حالها واطمئنان نفسها وهو عدم قبول الزواج لا من أبي جهم ولا من معاوية، لما اتصفا به من خصال تحول دون حسن المعشر وطيب العيش. ولم يكتف بذلك بل اختار لها زوجاً صالحاً يحسن إليها .

وعندما رأى ﷺ منها كراهة ذلك أمرها به منكراً عليها رفضها ، فأجابته لثقتها في رأيه فحصل لها الخير الكثير بسبب ذلك.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت امرأة رفاعة القرظي رسول الله ﷺ وأنا جالسة ، وعنده أبو بكر ، فقالت : يا رسول الله ، إنِّي كنت تحت رفاعة فطلَّقني فبتَّ

---

[1]) الغبط : حسد خاص ، يقال غبطت الرجل أغبطه غبطا ، إذا اشتهيت أن يكون لك مثل ماله وأن يدوم عليه ماهو فيه / النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير ٣/٣٤٠.

[2]) صحيح مسلم : كتاب الطلاق – باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها ٢/١١١٤ رقم الحديث (١٤٨٠).

طلاقي ، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير ، وإنه والله ما معه يا رسول الله إلا مثل هذه الهُدْبة ، وأخذت هُدبة من جلبابها ، فسمع خالد بن سعيد قولها وهو بالباب لم يؤذن له ، قالت : فقال خالد : يا أبا بكر ، ألا تنهى هذه عما تجهر به عند رسول الله ﷺ؟ فلا والله ما يزيد رسول الله ﷺ على التبسم ، فقال لها رسول الله ﷺ: ((**لعلَّك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة ، لا ، حتى يذوق عُسيلتك وتذُوقي عُسيلته**)) . فصار سنة بعد.[1]

قال ابن حجر – رحمه الله –: وفيه ما كان الصحابة عليه من سلوك الأدب بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وإنكارهم على من خالف ذلك بفعله أو قوله لقول خالد بن سعيد لأبي بكر الصديق وهو جالس " ألا تنهى هذه " ؟ وإنما قال خالد ذلك لأنه كان خارج الحجرة ، فاحتمل عنده أن يكون هناك ما يمنعه من مباشرة نهيها بنفسه ، فأمر به أبا بكر لكونه كان جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم مشاهدا لصورة الحال ، ولذلك لما رأى أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم يتبسم عند مقالتها لم يزجرها ، وتبسمه صلى الله عليه وسلم كان تعجبا منها ، إما لتصريحها بما يستحي النساء من التصريح به غالبا ، وإما لضعف عقل النساء لكون الحامل لها على ذلك شدة بغضها في الزوج الثاني ومحبتها في الرجوع إلى الزوج الأول .[2]

فقد رأى خالد بن سعيد ﷺ من حالها ماأوجب الإنكار عليها ولما لم يستطع طلب ذلك من أبي بكر ﷺ مما يدل على عظم ماوقعت فيه ؛ ومع هذا لم يزجرها رسول الله ﷺ بل تفاعل مع حالها وكان يتبسم لقولها ثم بيّن الحكم الشرعي في ذلك.

وعن أنس رضي الله عنه قال: مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر، فقال: ((**اتقي الله واصبري**)). قالت: إليك عني؛ فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي صلى الله عليه وسلم، فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوَّابين، فقالت: لم أعرفك، فقال : ((**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**)).[3]

---

[1]) صحيح البخاري: كتاب اللباس – باب الإزار المهدب ٤٥/٧ –٤٦ رقم الحديث (٥٧٩٢).

[2]) فتح الباري ٣٧٦/١٠.

[3]) صحيح البخاري : كتاب الجنائز – باب زيارة القبور ٩٩/٢ رقم الحديث (١٢٣٨).

فقد احتسب ﷺ على هذه المرأة بأمرها بتقوى الله والصبر وعدم الجزع في المصيبة بأسلوب الناصح ، فلما رأى ردة فعلها تركها ولم يزد على ذلك تقديراً منه لما هي فيه من ألم الفقد ، حتى إنها لم تعرف أنه رسول الله ﷺ.

قال ابن حجر – رحمه الله – : وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم : ما كان فيه عليه الصلاة والسلام من التواضع والرفق بالجاهل ،ومسامحة المصاب وقبول اعتذاره ،وملازمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .[1]

المطلب الثالث : مظاهر الرحمة في احتسابه ﷺ على الأطفال:

كانَ رسول الله ﷺ على عظم منزلته، ينزل للأطفال ويبدأهم بالسلام على الأطفال تلطفاً منه معهم، ولمنحهم الثقة بأنفسهم وإشعارهم بقيمتهم واهتمامه بهم ،وكان يجالسهم ويؤاكلهم ويترفق بهم ويوجه من يرى منه مخالفة ،وينصح لهم ويأمرهم بما يصلحهم، من ذلك توجيهه لعمرو بن أبي سلمة ﷺ بآداب الطعام بلين ورفق ورحمة، لما رأى منه مخالفة الأدب.

قال عمرو بن أبي سلمة ﷺ : كنت غُلامًا في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيشُ في الصَّحفة، فقال لي رسول الله ﷺ : **((يا غُلام، سَمِّ الله، وكُل بيمينك، وكُل مما يليك))** فما زالت تلك طعمتي بعدُ .[2]

اشتمل خطاب النبي ﷺ على عبارات تدل على الرحمة والرأفة والحب والحرص الأبوي على التعليم لأدب الإسلام مع ذلك الغلام الصغير حتى ينشأ منذ نعومة أظفاره على السلوك الإسلامي الصحيح ، فكان خطابا مغلفا بالود والحب ، ونداء يفيض حناناً ، فقد ناداه بقوله : (يا غلام) وهو لفظ يشعر بالتودد والقرب لترتاح نفس الطفل لتقبل الخطاب وتنفيذ محتواه.

وكان من تأثير هذا الخطاب النبوي وقعه في نفس عمرو بن أبي سلمة ، حيث قال ﷺ : (فما زالت تلك طعمتي بعد).

قال ابن حجر – رحمه الله –: أي لزمت ذلك وصار عادة لي.[3]

---

[1]) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٧٩/٣.

[2]) صحيح البخاري : كتاب الأطعمة – باب التسمية على الطعام والأكل باليمين ٢٤١/٦ رقم الحديث (٥٣٧٦).

[3]) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٤٣٣/١١.

وعن ابن عباس ﷺما قال قدمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المزدلفة أغيلمة بني عبد المطلب على حمرات فجعل يلطح أفخاذنا ويقول: ((أبيني لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس)).[1] قال أبو داود اللطح الضرب اللين.

قال الجوهري : اللطح : الضرب اللين على الظهر ببطن الكف انتهى . أي يضرب بيده ضربا خفيفا ، وإنما فعل ذلك ملاطفة لهم.[2]

وعن رافع بن عمرو الغفاري ﷺ أنه قال: كنتُ ، وأنا غلام ، أرمي نخلنا – أو قال نخل الأنصار – فأتي بي النبي ﷺ فقال: ((**يا غُلام لم ترمي النخل ؟**)). قالَ : قلتُ : آكُلُ . قال : ((**لا ترمي النخل . وكل ما يسقط في أسفلها**)). ثم مسحَ رأسي ، وقال : اللهم أشبع بطنه.[3]

فهنا نبه النبي ﷺ على خطئه في التعدي على ممتلكات الغير وعدم جواز ذلك ، ثم علمه جواز أكل ماسقط منها، ثم ختم احتسابه عليه بالدعاء له ليشعره بأنه ناصح وموجه وأب رحيم حتى يكون الأثر أكثر فاعلية.

المطلب الرابع : مظاهر الرحمة في احتسابه ﷺ على الخدم:

كان صلى الله عليه وسلم يهتمّ بالضعفاء والخدم ويشفق عليهم ويوصي بهم ، ويؤكد على ذلك كثيرا نظرا لكثرة وقوع الظلم عليهم ، وسلبهم حقوقهم ،وتكليفهم بما لايطيقون؛ فكان من وصاياه بهم: ((**هم إخوانكم ،جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن جعلَ اللهُ أخاه تحت يده ، فلْيُطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا يُكلفه من العمل ما يغلبه ، فإن كلفه ما يَغلِبه فلْيُعنه عليه**)).[4]

---

[1]) سنن ابن ماجه / محمد بن يزيد القزويني – كتاب المناسك – باب من تقدم من جمع إلى منى لرمي الجمار ١٠٠٧/٢ رقم الحديث (٣٠٢٥) – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – المكتبة العلمية – بيروت . وذكره الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٤٨/٣ رقم (٢٤٦٩) – ط١ – ١٤١٧ه/١٩٩٧م – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض.

[2]) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار / محمد بن علي الشوكاني ٨٢/٥ – ط١ – ١٤١١٣هـ/١٩٩٣م – دار الحديث.

[3]) سنن أبي داود / سليمان بن الأشعث السجستاني – كتاب الجهاد – باب من قال إنه يأكل مما سقط ٣٩/٣ رقم الحديث (٢٦٢٢) – المكتبة العصرية .قال ابن حجر العسقلاني حديث حسن /الإمتاع بالأربعين المتباينة بشرط السماع ١٦٧/١– تحقيق صلاح الدين مقبول أحمد – ١٤٠٨ه – الدار السلفية.

[4]) صحيح البخاري : كتاب الأدب – باب ماينهى من السباب واللعن ١١٢/٧ رقم الحديث (٦٠٥٠).

وبلغ من رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يطيق أحدا أن يقول : كان عبدي وأمتي وأنه أمر المسلمين أن يكفوا عن ذلك، وأن يقولوا فتاي وفتاتي ، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : ((**لا يقل أحدكم : أطعم ربك ، وضئ ربّك ، اسق ربك، وليقل: سيدي مولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي أمتي، وليقل : فتاي وفتاتي وغلامي**)).[1]

وأبرز مثال على ذلك تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع خدمه ، يترفق بهم ويتجاوز عن عثراتهم ولايقف عند هفواتهم وزلاتهم حتى كلمة "أف" لم يكن يقولها؛ ثبت ذلك من قول أنس رضي الله عنه قال: ((**خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، والله ما قال لي أُفاً قط، ولا قال لي لشيء لم فعلت كذا وهلّا فعلت كذا؟**)).[2]

وعن أنس رضي الله عنه قال :كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً . فأرسلني يومًا لحاجة. فقلت: والله ! لا أذهب .وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ فخرجت حتى أمرُّ على صبيان وهم يلعبون في السوق . فإذا رسولُ الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي . قال فنظرتُ إليه وهو يضحك . فقال : ((**يا أُنيس ! أذهبت حيث أمرتك ؟**)) ، قال قلت : نعم . أنا أذهب ، يا رسول الله .[3]

وفي قصة زيد بن حارثة ﷺ خادم النبي ﷺ شاهد على علو أخلاق الرسول ورحمته بأمته بما فيهم الخدم ، فقد عاش زيد في بيته ﷺ ، وظل يقوم على خدمته ويرعى شؤونه، حتى بلغت الأخبار إلى والده بوجوده عند النبي ﷺ، فانطلق مسرعاً إليه، وطلب من النبي ﷺ أن يرد له ولده، فنظر النبي ﷺ لزيد وقال :((**إن شئت فأقم عندي، وإن شئت فانطلق مع أبيك**)) ، فقال: بل أقيم عندك.[4]

ففضل ﷺ البقاء مع رسول الله ﷺ والعيش خادما له على الذهاب إلى أهله وعشيرته ، وما كان ذلك منه إلا لحسن معشره وطيب خلقه ﷺ.

---

[1]) صحيح البخاري : كتاب العتق – باب كراهية التطاول على الرقيق ، وقوله عبدي أو أمتي ١٦٩/٣ رقم الحديث (٢٥٥٢).

[2]) صحيح مسلم : كتاب الفضائل – باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا ١٨٠٤/٤ رقم الحديث (٢٣٠٩).

[3]) صحيح مسلم : كتاب الفضائل – باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا ١٨٠٥/٤ رقم الحديث (٢٣١٠).

[4]) المعجم الكبير / أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ٨٣/٥– ٨٤ رقم الحديث (٤٦٥١) – تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي . وقال الهيتمي : إسناده حسن ٢٧٤/٩.

المبحث الثاني: مظاهر الرحمة في احتسابه ﷺ على المنافقين:

أما رحمته ﷺ بالمنافقين فبالأمان من القتل والسبي نظراً لظاهر إسلامهم في الدنيا. أي هم تزيّوا بزَي الإسلام، وأظهروا الإسلام وأخفوا الكفر ، فهذا الذي أظهروه حماهم من أن يعاملوا كالكفار ، فلم يقتل النبي ﷺ أشدهم عداوة وهو عبدالله بن أبي بن سلول رغم ماأظهره من سلوك أساء به لشخص النبي ﷺ خاصة ولسائر المسلمين بصفة عامة مما يوجب قتله.

كما أنه لم يوجه الحديث لهم مباشرة بل كان يحذر من النفاق بشكل عام ، بل إنه لم يسمهم بأسمائهم ولم يكن أحد يعرفهم سوى حذيفة بن اليمان ﷺ أخبره بهم سراً ولم يفشﷺ سر رسول الله ﷺ.

هذه رحمة النبي ﷺ بهم، وكما أمر ﷺ نحن نحكم بالظاهر والله يتولَّى السرائر ، وهذا كان سبباً لتراجع عدد منهم وعودتهم إلى صفوف المسلمين .

ومن ذلك مارواه عاصم بن عمر بن قتادة :(أن عبد الله بن عبد الله بن أُبي ﷺ أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أُبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلا فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان فيها رجل أبرّ بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيره فيقتله، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبي يمشي في الناس فأقتلَه، فأقتل مؤمناً بكافر، فأدخل النار؛ فقال رسول الله ﷺ : **((بل نرفُق به ونُحسن صُحْبتهُ ما بقي معنا))** ، وجعل بعد ذلك اليوم إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه، ويأخذونه ويعنفونه ويتوعدونه، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم من شأنهم :**((كيف ترى يا عمر، أما والله لو قتلته يوم أمرتني بقتله لأرْعَدَت له آنُفٌ، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته))** ؛ قال: فقال عمر: قد والله علمت لأمرُ رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري.[1]

فهذه السماحة النبويّة ، وسمو أخلاقه وروعة تعامله جعلت من كان ضده يقف معه ويعينه على من ناصبه العداء ، وألهب قلوب عدد ليس باليسير عليه ، فيكون رفقه وعفوه أبعد أثراً من عقوبته ، لو أنه عاقبها به ، فينقلبوا عوناً له عليه .

---

[1]) تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) /محمد بن جرير الطبري – سورة المنافقون – القول في تأويل قوله تعالى :﴿ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ ٤٠٩/٢٣ – تحقيق محمود محمد شاكر – دار المعارف – مصر.

المبحث الثالث: مظاهر الرحمة في احتسابه ﷺ على الأعراب:

الأعراب هم البدو الرحل الذين يتنقلون في البادية طلباً لمساقط الغيث ومنابت الكلأ، وقد اتصفوا بالأنفة والعزة واعتبار المكانات ، قال صلى الله عليه وسلم :((**الفخر والخيلاء في الفدادين[1] أهل الوبر ، والسكينة في أهل الغنم**)) .[2]

ولهذا كان النبي ﷺ يتعامل معهم مراعياً تلك الخصال وجعلها مدخلا لاستمالة قلوبهم للإسلام.

فقد روى أنس بن مالك ﷺ أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شَرِبَ لبنًا ، وأتى داره ، فحلبت شاةً ، فشُبت[3] لرسول الله صلى الله عليه وسلم من البئر ، فتناول القدح فشرب ، وعن يساره أبو بكر ، وعن يمينه أعرابي ، فأعطى الأعرابي فضلَه ، ثم قال : الأيمنُ فالأيمنُ.[4]

كما اتصفوا بخشونة طباعهم، وحدة سلوكهم ، وجفائهم وذلك لعيشهم في جفاف الصحراء وعدم اختلاطهم بالناس ، قال ابن كثير رحمه الله: لما كانت الغلظة والجفاء في أهل البوادي، لم يبعث الله منهم رسولا؛ وإنما كانت البعثة من أهل القرى، كما قال تعالى:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا منْ قَبْلكَ إلَّا رجَالًا نُوحي إلَيْهمْ منْ أَهْل الْقُرَى** ﴾ [5].[6]

وقد وصل بهم ذلك الجفاء إلى إيذاء النبي ﷺ ومع هذا لم يزجر ولم ينهر بل كان يقضي حاجاتهم متبسماً فانعكس أثره عليهم فلم يملكوا إلا أن أحبوه والتزموا طاعته .

ومنه مارواه أنس بن مالك ﷺ قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ، وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية . فأدركه أعرابي . فجبذه[7] بردائه جبذةً شديدةً . نظرت إلى

---

[1]) الفدادون بالتشديد الذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم ، واحدهم فدّاد، النهاية في غريب الحديث والأثر/ ابن الأثير ٤١٩/٣.

[2]) صحيح البخاري : كتاب المناقب –باب وقوله تعالى : (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ..) ١٨٧/٤ رقم الحديث (٣٤٩٩).

[3]) الشوب : الخلط ، كانوا يمزجون اللبن بالماء لأن اللبن عند الحليب يكون حارا وتلك البلاد في الغالب حارة ، فكانوا يكسرون حر اللبن بالماء البارد. فتح الباري ٧٨/١٠.

[4]) صحيح البخاري : كتاب الأشربة – باب شرب اللبن بالماء ٣٠٩/٦ رقم الحديث (٥٦١٢).

[5]) يوسف ١٠٩.

[6]) تفسير القرآن العظيم / إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ٢٠٢/٤ – تحقيق سامي محمد السلامة – ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م – دار طيبة.

[7]) فجبذه يعني جذبه جذبا شديدا حتى أثرت حاشية الجبة في عنق الرسول صلى الله عليه وسلم من شدة الجذب . شرح رياض الصالحين /محمد بن صالح بن عثيمين ٦٠٦/٣ ، ١٤٢٦هـ – مدار الوطن للنشر.

صفحة عُنُق رسول الله ﷺ وقد أثَّرت بها حاشية الرداء . من شدِّة جبذته . ثم قال : يا محمد ! مر لي من مال الله الذي عندك . فالتفت إليه رسول الله ﷺ. فضحك . ثم أمر له بعطاء . وفي حديث عكرمة بن عمار من الزيادة : قال : ثم جبذه إليه جبذة . رجع نبي الله ﷺ في نحر الأعرابي .وفي حديث همام : فجاذبه حتى انشق البُرْد . وحتى بقيت حاشيته في عُنُق رسول الله ﷺ .[1]

فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ فعله لعلمه أنه لم يتعمد إيذاءه بل هو أمر اعتاده ونشأ عليه ، ولم يكتف النبي ﷺ بالتبسم في وجهه بل أمر بتلبية طلبه .

قال النووي رحمه الله: فيه احتمال الجاهلين والإعراض عن مقابلتهم، ودفع السيئة بالحسنة، وإعطاء من يتألف قلبه، والعفو عن مرتكب كبيرة لا حدَّ فيها بجهله، وإباحة الضحك عند الأمور التي يتعجب منها في العادة، وفيه كمال خلق رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وحلمه وصفحه.[2]

فكانت رحمته ﷺ تتجلى في ردود أفعاله مع سائر أمته ، كيف لا وهو المبعوث رحمة للعالمين.

إضافة إلى ذلك ماكانوا يتصفون به من شدة الجهل بأمور الدين والآداب الإسلامية ، قال النووي رحمه الله : أهل البادية هم الأعراب ، ويغلب فيهم الجهل والجفاء .[3]

ومن ذلك مارواه أبوهريرة ﷺ أنه دخل أعرابي على رسول الله ﷺ المسجد وهو جالس فقال : اللهم اغفر لي ولمحمد ولا تغفر لأحد معنا قال : فضحك رسول الله ﷺ ثم قال : ((**لقد احتظرت واسعًا**)) ثم ولى الأعرابي حتى إذا كان في ناحية المسجد فشج[4] يبول فقال الأعرابي بعد أن فقه في الإسلام : فقام إليَّ رسول الله ﷺ فلم يُؤنبني ولم يسُبني وقال : ((**إنما بُني هذا المسجد لذكْر الله والصلاة وإنه لا يُبالُ فيه ثم دعا بسَجْلٍ[5] من ماء فأفرَغه عليه**)) .[1]

---

[1]) صحيح الإمام مسلم : مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري – كتاب الزكاة – باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة ٢ /٧٣٠- ٧٣١ رقم الحديث (١٠٥٧)

[2]) شرح صحيح مسلم ١٢٠/٢.

[3]) شرح صحيح مسلم ١٤١/١.

[4]) الفشج هو تفريج مابين الرجلين / النهاية في غريب الحديث والأثر/ ابن الأثير ٤٤٧/٣.

[5]) الدلو الملأى ماء ، ويجمع على سجال / النهاية في غريب الحديث والأثر – ابن الأثير ٣٤٤/٢. =

وقد كان لهذا الترفق والرحمة به الأثر الكبير في حياة هذا الأعرابي وغيره.

وأيضا ماورد في سنن البيهقي عن محمد بن سيرين : استأذنَ أعرابي على النبي ﷺ ، فقال : أأَدخُل ؟ ولم يسلم ، فقال النبي ﷺ لبعض أهل بيته : ((**مُرْهُ فليسلّم**)) ، قال : فَسمعه الأعرابي فسلَّمَ فأذن له.[٢]

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يتقاضاه ديناً كان عليه فاشتدَّ عليه حتى قال له أحرِّجُ عليك إلا قضيتني فانتهره أصحابه وقالوا ويحكَ تدري من تُكلم قال إني أطلب حقي فقال النبي ﷺ هلَّا مع صاحب الحق كنتم ثم أرسل إلى خولة بنت قيس فقال لها إن كان عندك تمر فأقرضينا حتى يأتينا تمرنا فنقضيك فقالت نعم بأبي أنت يا رسول اللَّه قال فأقرضته فقضى الأعرابي وأطعمه فقال أوفيت أوفى الله لك فقال أولئك خيار الناس إنه لا قُدست أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير متعتع[٣].[٤]

وعن محمد بن جبير قال: أخبرني جبير بن مطعم أنه :بينما يسير هو مع رسول الله ﷺ مقفله – رجوعه – من حنين، فعَلَقَهُ – تبعه - الأعراب يسألونه، حتى اضطروه إلى سمرة – شجرة -، فخطفت رداءه، فوقف النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ((**أعطوني ردائي، فلو كان لي عدد هذه العضاة -شجر له شوك – نعماً، لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً**)) .[٥]

فقد علم ﷺ حرص هؤلاء الأعراب على الدنيا وطمعهم فيها ،كما علم شدة وجفاء تعاملهم فلم يؤنبهم على مافعلوه فيه بل تعامل معاملة الرحيم المشفق فطلب رداءه ثم أوضح لهم حقيقة الأمر وأنه لو كان يملك مايريدون فلن يبخل به عليهم.

قال ابن حجر– رحمه الله –: في هذه الأحاديث وفي معناها: ذم الخصال السيئة، وهي البخل والكذب والجبن، وأن إمام المسلمين لا يصلح أن يكون فيه خصلة منها، وفيه ما كان في النبي ﷺ من الحلم وحسن الخلق وسعة الجود، والصبر على جفاة الأعراب.

=[١]) مسند الإمام أحمد / أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد : مسند أبي هريرة ٥٠٣/٢ رقم الحديث (١٠١٥٥) – ١٤١٤هـ/١٩٩٣م – دار إحياء التراث العربي. وذكره ابن حبان في صحيحه برقم (٩٨٥) صحيح ابن حبان/ محمد بن حبان البستي – تحقيق شعيب الأرناؤوط – ط٢ – ١٤١٤هـ – مؤسسة الرسالة – بيروت .

[٢]) شعب الإيمان / أحمد بن الحسين البيهقي ص ٢٩٤٠/٦ خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح مرسلاً – تحقيق حمدي الدمرداش ومحمد العدل – ط١ – ١٤٢٤هـ – دار الفكر – بيروت .

[٣]) أي من غير أن يصيبه أذى يقلقه ويزعجه /النهاية في غريب الحديث والأثر/ ابن الأثير ١٩٠/١.

[٤]) *سنن ابن ماجه : كتاب الصدقات – باب لصاحب الحق سلطان ٨١٠/٢ رقم الحديث (٢٤٢٦).وذكره الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢٨٣/٢ رقم (١٩٨٤).*

[٥]) صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير – باب الشجاعة في الحرب والجبن ٢٧٥/٣ رقم الحديث (٢٨٢١).

الخاتمة

وبعد هذا التطواف الماتع في سيرة محمد ﷺ تجلت لنا جمال الصفات وكمال الخصال ، التي لايملك من يبحر في قراءتها إلا أن يقف وقفة إجلال واعتزاز وإكبار ، وأن ينجذب لشخصه حباً وتقديراً واحتراماً وعزماً على نهج سيرته واتباع طريقته.

ومن هذه الصفات خُلُقُ الرحمة والشفقة بالآخرين ، فقد وسم برقة القلب وسمو الرحمة وشمولها لكل الخلق ؛ الصغير والكبير ، القريب والبعيد ، المؤمن والكافر ، والجماد والحيوان تحقيقا لقول الله تعالى : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[1].

[1]) الأنبياء (١٠٧).

المراجع

١) الإمتاع بالأربعين المتباينة بشرط السماع/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – تحقيق صلاح الدين مقبول أحمد – ١٤٠٨ه – الدار السلفية.

٢) تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) /محمد بن جرير الطبري – تحقيق محمود محمد شاكر – دار المعارف – مصر.

٣) تفسير القرآن العظيم / إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي – تحقيق سامي محمد السلامة – ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م – دار طيبة.

٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها / محمد ناصر الدين الألباني – الطبعة الأولى – ١٤١٥ه/١٩٩٥م – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض.

٥) سنن ابن ماجه / محمد بن يزيد القزويني – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – المكتبة العلمية – بيروت .

٦) سنن أبي داود / سليمان بن الأشعث السجستاني – المكتبة العصرية.

٧) سنن الترمذي /محمد بن عيسى بن سورة الترمذي– تحقيق وشرح محمد بن أحمد شاكر – دار الكتب العلمية – بيروت

٨) شرح رياض الصالحين / محمد بن صالح بن عثيمين – ١٤٢٦هـ – مدار الوطن للنشر.

٩) شرح النووي على صحيح مسلم / يحي بن شرف أبو زكريا النووي – ١٤١٦ه/١٩٩٦م – دار الخير.

١٠) شعب الإيمان / أحمد بن الحسين البيهقي – تحقيق حمدي الدمرداش ومحمد العدل – ط١ – ١٤٢٤هـ – دار الفكر – بيروت .

١١) صحيح ابن حبان/ محمد بن حبان البستي – تحقيق شعيب الأرناؤوط – ط٢ – ١٤١٤هـ – مؤسسة الرسالة – بيروت .

١٢) صحيح الإمام البخاري : محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي– حقق أصولها وأجازها الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز – دار الفكر – ١٤١٤هـ /١٩٩٤م.

١٣) صحيح الإمام مسلم : مسلم بن الحجاج القشيري – المحقق محمد فؤاد عبدالباقي – دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه .

١٤) صحيح سنن ابن ماجه / محمد ناصر الدين الألباني– ط١ – ١٤١٧ه/١٩٩٧م – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض.

١٥) صحيح سنن الترمذي/ محمد ناصر الدين الألباني – ط١ – ١٤٢٠ه/٢٠٠٠م – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض.
١٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري /أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب – دار الريان للتراث – ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
١٧) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي – مكتبة القدسي – ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .
١٨) مجموع فتاوى ابن تيمية / تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية – ١٤١٦هـ /١٩٩٥م – مجمع الملك فهد.
١٩) مسند الإمام أحمد / أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد – دار إحياء التراث العربي – سنة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
٢٠) المعجم الكبير / أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني – تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي.
٢١) النهاية في غريب الحديث والأثر – ابن الأثير مجد الدين أبي السعادات محمد بن مبارك الجزري – تحقيق محمود محمد الطناحي و طاهر أحمد الزاوي – ط١ – ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م – المكتبة الإسلامية.
٢٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار / محمد بن علي الشوكاني – ط١ – ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م – دار الحديث.